

نسمات

الحمامات البيض

قصص قصيرة

قصة: عبد المجيد زراقت

رسوم: عبد الرحمن بكر



الحمّامات البيض

قصص قصيرة

قصة: عبد المجيد زراقت

رسوم: عبد الرحمن بكر



عنوان الكتاب : الحمّامات البيض - قصص قصيرة

تأليف : عبد المجيد زراقت

رسوم : عبد الرحمن بكر

الطبعة الأولى : 1440 هـ - 2020 م

حقوق الطباعة والنشر محفوظة للمؤلف فقط

مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر

44 شارع سوتير ، أمام كلية الحقوق - الإسكندرية - مصر

الموقع الإلكتروني : www.levantcenter.net

البريد الإلكتروني : levant.cgsy@gmail.com

رقم الإيداع : 2019/8742

التسجيل الدولي : 978-977-6651-47-0

الإخراج : إيهاب رشدي



أززار فادي

ذات ليلة، وكان البدرُ يسامرُ النجومَ... وكانتِ النُسيماتُ تُوشوشُ العناقيدَ، طرقَ بابنا قادمٌ جديدٌ... ولم يكذُ يُطلُ حتَّى عرَفناه، إنه طبيبُ المستشفى القريبِ. جلسَ بيننا وسرعانَ ما لمحنا على ياقته زُرَّ وردٍ أحمرَ. وأنا ننظرُ إليه، فقالَ: "أعرفُ، تريدونَ حكايةً... أترونَ زُرَّ الوردِ هذا؟ إنه زُرَّ غالٍ عليَّ وعزيز، أهداني إياه صبيُّ أَسمرُ حلَّو اسمُهُ فادي... حكايةُ زُرَّ الوردِ هذا هي ما سوفَ أحكيه لكم...".

في قرية، كقريتنا هذه، يعيشُ فادي وأسرته منذُ سنواتٍ، سافرَ أبوه، كما يفعلُ معظمُ الناسِ في بلدنا. وفي اليومِ الذي عاد فيه الأبُ من السفرِ، انتشى فادي من السعادة، فكان يخطو إلى جانبِ والده مزهواً.

عندما انقطع حبلُ الزُّوارِ، قالَ فادي، وهو يُريحُ رأسه على رُكبة أبيه: - أبي، السيَّارة الحمراء الكبيرة التي وعدتنا بها... ألا تريدُ؟ متى؟

وقالت مهي، وهي تتناولُ من حضنِ أبيها:

- بابا، بابا... أريدُ أن أتعلَّم القيادة.

وأخذت تحركُ يديها حركاتٍ دائرية.

نظر الأبُ إلى الأمِّ مُبتسماً. ثم خاطبَ ولديه ضاحكاً:

- قبلَ السيَّارة، ألا تُحبَّان أن يكونَ عندنا بيتٌ كبيرٌ

وجميلٌ، يكونَ لكما فيه غرفةٌ خاصة.



فصرخا معاً: نعم يا بابا، هذا ما نريدُ. وقفز الصغيران يلعبان. اشترى الوالدُ الأرضَ، وبدأ العُمالُ يعملون...

كان الوالدُ يغرُسُ أشجاراً كثيرة، وكان فادي يُساعدُهُ بمعوله ورفشه الصغيرين.

وقبلَ أن ينتقلوا إلى بيتهم الجديد، ذهبَ فادي مع والده إلى سوقِ البلدة المجاورة..

كان سعيداً بالمنظر الجديد، فراح يجوبُ السوقَ. وفجأةً، توقَّف طويلاً أمامَ

جدارٍ من الوردِ الأحمر القاني. خلَّبته هذه الأزرار الناريَّة، فاقترَب منها

يتأمَّلها ويلمسُها ويشمُّها. رآه رجلٌ كهلٌ يحملُ مرشَّة ماءٍ ومقصاً فناده:

- أتُحبُّ الوردَ، يا صغيري العزيز؟

أجابهُ فادي بسرعة: نعم، نعم وعندي "مزهرياتٌ" كثيرة، صنعتُها من بقايا

القذائف، يا عمّ.

غامت فرحةُ الكهلِ ذي اللحية البيضاء لحظةً، ثم ابتسم،

وقال: "عظيمٌ، عظيمٌ..." وأسرعَ إلى المقصِّ يمتشقهُ

وراح يقصُّ بعنايةٍ فائقة، قضيباً من هذه وثانياً من

تلك، وثالثاً ورابعاً... ثم لفَّ القضبان التي قصَّها

بورقة خَسَّ كبيرة، وأعطى اللقَّة للصبي،



وهو يقول: "خذ هذه من ملك الورد، تغرسها فتصبح داركم مثل جنتي هذه".
 غرس فادي القضان الصغيرة، وظل يتعهدُها بالسقاية والرعاية... وعندما انتقلت الأسرة
 إلى بيتها الجديد، اختار فادي، الغرفة التي تطل نافذتها الأولى على الوادي العميق، والتي
 تشرف نافذتها الثانية، على أرضهم الواسعة، ووضع سريره قرب النافذة الثانية، كي يطل
 باستمرار على الحديقة وعلى غرسات الورد التي راحت تنمو بسرعة عجيبة...
 أمر واحد كان يُزعج الصبي. في الأيام الأخيرة، صار أبوه يلزم المدياع مُتَنَقِّلاً بإبرته
 من محطة إلى أخرى، كأنه لا يشبع من هذه الجمل المتشابهة التي يرددها هؤلاء المذيعون...
 ولاحظ فادي أن والدته يتغيّر، فوجهه صار مُتَجَهِّماً عابساً، وقلت كلماته، مثله في ذلك،
 مثل أبناء القرية الآخرين.

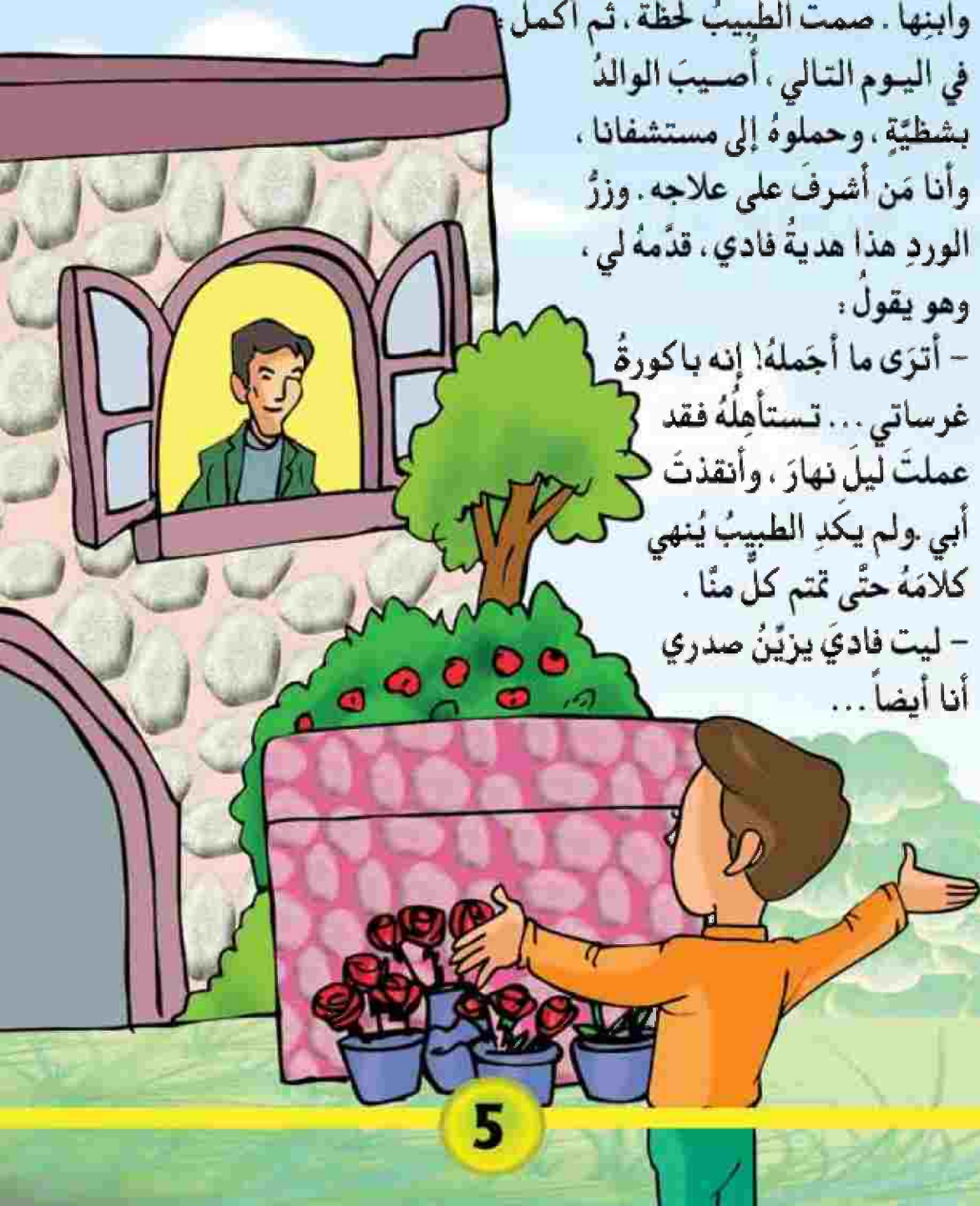
ذات ليلة، استيقظوا جميعهم. كان القصف متواصلاً وهدير الطائرات يتعاضم. ركضوا إلى
 الغرفة الصغيرة التي بناها أبوه تحت المنزل، وتجمعوا فيها.
 كان أبوه يُتمتم: لعله الاجتياح الموعود... أعلن المدياع الصغير صحة ما تتممه الأب...
 بكت الصغيرة. فقالت الأم، وهي تحضن ابنتها: - هيا نجمع ما يلزم... ليتنا لم نبين هذا كله،
 لقد خسرنا الكثير... هيا، قد لا نستطيع في ما بعد تدبّر أمرنا...



أراد الأب أن يتكلّم، فصرخ فادي:

- أنا لن أذهب، أبقى مختبئاً هنا، أنا لن أذهب... وهذه الغرسات بدأت
 تفتتح أزهارها... لن أدع غرساتي تموت، يا أبي. حضن الأب ابنه وقال:
 ونحن لن نذهب، يا بني. فشدت الأم ابنتها إلى صدرها والتصقت بزوجها
 وابنها. صمت الطبيب لحظة، ثم أكمل:
 في اليوم التالي، أصيب الوالد
 بشظية، وحملوه إلى مستشفى،
 وأنا من أشرف على علاجه. وزر
 الورد هذا هدية فادي، قدّمه لي،
 وهو يقول:

- أترى ما أجمله! إنه باكورة
 غرساتي... تستأمله فقد
 عملت ليل نهار، وأنقذت
 أبي. ولم يكدر الطبيب يُنهي
 كلامه حتى تتم كل منّا.
 - ليت فادي يزيّن صدري
 أنا أيضاً...



الحمامات البيضاء

في كل يوم كنت أحمل محفظتي، وأسرع إلى المدرسة، وبني شوق عصفور إلى ينبوع ماء. فأنا لم أذهب إلى مدرسة، منذ هجرنا المحتل من قريتنا، إلى هذه المدينة التي لا يهدأ القتال فيها. في كل يوم، كنت أعود خائبا، كنت أعود، وصوت حارس البناء يلاحقني :
- لا مدرسة، اليوم، يا بني.

كنت أنظر إليه طويلا، فكان يضيف " بسبب، القصف، يا بني ".
ظللت أحمل محفظتي كل صباح، وظللت أعود خائبا أتلفت إلى الوراء، لعلني أسمع صوتا يناديني، أو لعل يدا تربت علي كتفي، ولكن عبثا. وذات يوم، حملت محفظتي، ووقفت طويلا أمام الباب. كان القصف مستمرا، وكنت أعد الضربات، وأحاول أن أطل كي أرى آثارها. ثم قادتني أمي إلى غرفة في بيتنا تعتقد أنها آمنة، وقالت " نَم قليلا، يا بني، فطوال الليل لم يغمض لنا جفن ".
تركنتي أمي وابتعدت، ورأيته ترفع كفيها المفتوحتين، وسمعتها تقول " رباه، أما لهذا الليل من آخر؟! "
استلقيت علي فراشي، تقلبت طويلا، ثم غفوت، وأنا أردد :
- ليت ضوءا ينير أيامنا، ليت قمرا يطل على ليلنا الطويل...

ويدا لي، في البعيد، قمر منير، لوحت له بيدي، فصار يقترب مني ويقترب. كان القمر مثل صحن من فضة. يبحر في زرقعة واسعة واسعة، وكنت أرفرف مثل حمامة بيضاء، أدور حوله، وأناديه. وامتدت كف لطيفة مثل نسيم، ارتفعت، ونثرت حبات من القمح شقراء، شقراء ذهبية، وتعالى غناء يحدو بي :

إلى القمر الفضي

إلى القمر الفضي،

يا حمامة بيضاء،

لنظر سوية

يقودنا الضياء.



بقي الصُوتُ يغني، ورفرفتُ أَلْمَمُ حَبَاتٍ يُغْرِقُهَا النَّدَى، وصرنا نعلو ونعلو، نرى الكواكب تدور وتضيئ، وكنا نسمعُ أصواتاً تسأل: من أين أنتم قادمون؟ وكنا نجيب: من الأرض.

فتقاطعنا الأصواتُ صارخة:

- لم تَظَلُّونَ تتقاتلون؟! ولم تَظَلُّ أصواتُ حربيكم تَقلِّقنا؟!

لم أفكر في إجابة، وإنما رحت أسأل:

- أتَقتلون المدارس عندكم؟ أتصادرون البحر والحقول وشرفات المنازل؟ أتمنعون الفرح؟

أتصادرون الضحك؟ وكنت أسمع: لا، لا، لا...

فأردد: أرغبُ في معانقة هذه "اللا". أرغبُ في البقاء عندكم...

فتهمسُ الأصواتُ الدافئة وشوشاتُ كلِّها حنان، وتقول: ينبغي أن تعود، يا صغيري.

وكنت أسأل: ولم؟

فكانت الوشوشات تجيب: لك بيتٌ وحقلٌ ومدرسة، لك قرية ومدينة ووطن. عد إليها جميعها.

فهي بحاجة لك.

ظلمتُ أسأل: لم؟ وكيف؟

ظلمتُ الوشوشاتُ تهمس: عد إليها حمامةٌ بيضاء، وعندما تكثر الحمامات البيض، تعود

المدارسُ تستقبلُ العيون الجائعة إلى الفرح.

فصرخت: كيف؟ كيف؟

كنت أصرخ حين أقت على ذراع يشدُّني إليه بحنان، وعلى قبلة دافئة تُطَبِّعُ على جيبني،

وفتحت عيني، فرأيتُ أُمِّي تشدُّني إليها، وتتمتم:

- لا تخف، يا حبيبي.

حدقتُ في عيني أُمِّي الدامعتين، وقلت:

- ما أحلاه حلماً، ولكن، كيف تكثر الحمامات البيض، يا أُمِّي؟



عيد عند الحاجز

كان المطر ينهمر بغزارة في الخارج، وكان الرعد هو الذي يقصف هذه المرة. كانت العائلة تسهر في المنزل، وكان الجميع متعلقين حول المدفأة، وهم يرددون، بين الحين والآخر، ما أشد غضب الطبيعة في هذا اليوم! كانت تتردد هذه الكلمات، وكان الأب يعلق في كل مرة: إن كان الأمر هكذا هنا، فكيف يكون في قريتنا؟! كان الأب يردد هذا، وكانت الأم تبادر على الفور، وتقول:

- طال الزمن، والله طال زمن البعاد عن قريتنا ...

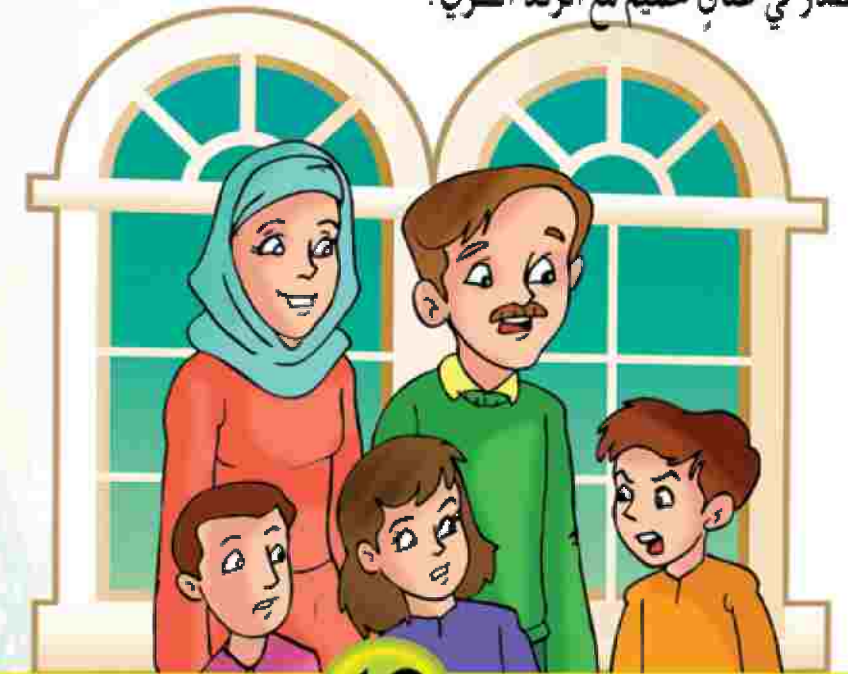
كانت الأم تود أن تكمل، عندما قاطعها ابنها الكبير بقوله:

- لقد اتفقنا، أنا ورفاقي، أن نقضي العيد في قريتنا ... اشتقت يا أبي إلى بيتنا، إلى حكايات جدتي، وإلى بلوطات سديانتنا الكبيرة ... تعلقت الأنظار بالصبي طويلاً، وساد صمت طويل قطعه صوته:

- غداً، إن وافق أبي، ننطلق مع الفجر ... أنت وعدتني بهذه الزيارة منذ زمن طويل ...

أطرق الأب طويلاً، ثم قال " ليكن يا بني، ولترافقك السلامة " ...

في الغد، أطل الفجر خلواً، مثل ضحكات الصغار المتدافعين إلى مقاعد السيارة الصغيرة الزرقاء، كان الصغار يتدافعون صاخبين، وكل منهم مثقل بحمله: محفظة صغيرة بيد، وأكياس كثيرة ترمي على الصدر في عناق حميم مع الرند الطري.



تفرّد أصغر الصبية بحمل كان يرقد على الزندين المعقودين على الصدر، كان حملاً لا ينفك يتحرك ويموء ... إنها هرة سوداء ناعمة، تلاعب حاملها وتموء له، كأنها تود لو تشارك في إحياء ضجيج الفرح القائم ...

انطلقت السيارة بسرعة ترشق جوانب الطريق برشاش متلاحقات من مياه الحفر، وتوزع على نواحي الدرب أهازيج الصغار وقهقهاتهم ...

كانت السيارة تطارد الطريق الأسود الممتد على طول الشاطئ، وكان الصغار يغنون ... ظل الصغار يغنون ويلهون مدة طويلة ... وفجأة، خاطبهم السائق بعصبية، وقال: دعونا الآن من لهوكم، ولنفكر في المشكلة الكبرى، فصاح الصغار:

مشاكل يا مشاكل أهلاً أهلاً بالمشاكل. مشاكل يا مشاكل أنا، أنا حلال المشاكل كان الصغار يغنون، وكان السائق يردد: هنيئاً لكم، يا صغاري، عمركم الطري، ولكن سنرى كيف تتصرفون عندما نصل إليهم. سأل صبي بقوة: من هم هؤلاء يا عماء؟! لم يجب السائق، وإنما ضاعف سرعته، فعاد الصغار يهزجون ويقهقهون.

ولم ينتبه الصغار إلا وهم أمام صف طويل من السيارات. توقفت سيارتهم خلف إحدى الشاحنات وترجل السائق منها، وهو يقول " إبقوا هنا حتى أعود ". راحت نظرات

الصغار تتوزع في أرجاء المكان، وتنصب على

الناس

الذين كانوا

لا ينفكون يرددون

عبارات التذمر

والشكوى ...



طال غياب السائق، وكاد الصغار يترجلون من السيارة لولا أنه عاد إليهم، وهو يقول:
- لن يدعونا نمر، لقد أقفلوا الحاجز، وعليكم الانتظار حتى صباح الغد.
صاح الصغار:

- لا، إن هذا لن يكون أبداً، إن الوقت لا يزال باكراً، ونحن نريد أن نُمضي سهرة العيد في قريتنا
قرب الموقد نشوي "البلوط"...
أخفى السائق بسمته، وقال:

- هؤلاء لا يفهمون مثل هذه الأمور... هؤلاء جنود احتلال.
نزل الصغار من السيارة، وركضوا صوب الحاجز المقفل، وقفوا فجأة أمام دُشمٍ منتصبٍ وبراميل
متعرجة وسلاسل متصلة، وفوهاتٍ بنادق موجهة صوبهم، ونادوا جميعاً:
- نريد أن نمر إلى قريتنا، نريد أن نمر... نريد، نريد...

بقي الصوت يتزدد، ولم يجب أحد، فتلفتوا في كل الجوانب، كانت تلالُ التراب تحيط بالمكان،
وكانت الآلات السوداء تريضُ في كل ناح، وكان الجنود الشقر والسمر والبيض والسود
مجتمعين في ظلال أسلحتهم ينظرون ويتسمعون ويجرّكون بنادقهم، ولا يجيبون.
بُحت أصوات الصغار وليس من إجابة، وعندما أراد الصغار تجاوزَ إحدى السلاسل المتصلة
تردّدت طلقات في الجو، مرّت من فوق رؤوسهم. أحس الصغار أن هذه الطلقات تعنيهم فعادوا،
وهم يصرخون. لاقاهم السائق بابتسامة لم يطل عمرها، وقال:
- ليس من مفر، لا بدّ من أن نُمضي الليلة هنا، وغداً نرى...

ثم أضاف، وهو يبتسم:

- ولكن أين هم حلالو المشاكل؟



طأطأ الصغار رؤوسهم، وعادوا إلى السيارة صامتين، كان كل واحد منهم يحدث نفسه:

- نحن لم نعتد الهزيمة، يجب أن نتصرف... يجب... وفجأة، صاح الجميع معاً: إن كنا لا نستطيع المرور الليلة، فيجب أن نتصرف مع هؤلاء...

صاح الجميع: يجب أن نتصرف... يجب... وعادوا إلى الصمت معاً... ولم يمض وقت طويل حتى أشرق وجه صبي طويل أسمر بابتسامة وضاءه، وراح ينحني على أذان رفاقه واحداً واحداً ويهمس، ولم يكده ينتهي حتى صاح الجميع: عظيم... عظيم... طريقة رائعة...

انصرف الصغار سريعاً إلى الأكياس، وراحوا يفتحونها، ويخرجون منها أجراساً صغيرة وطرابيش حمراء وشرائط ملونة... وما كاد الظلام يجيئ حتى كان الصغار يخرجون من السيارة، كان كل منهم يعمُر طربوشاً أحمر، ويزين صدره بشرائط ملونة، ويمسك بمزمار وينفخ فيه.

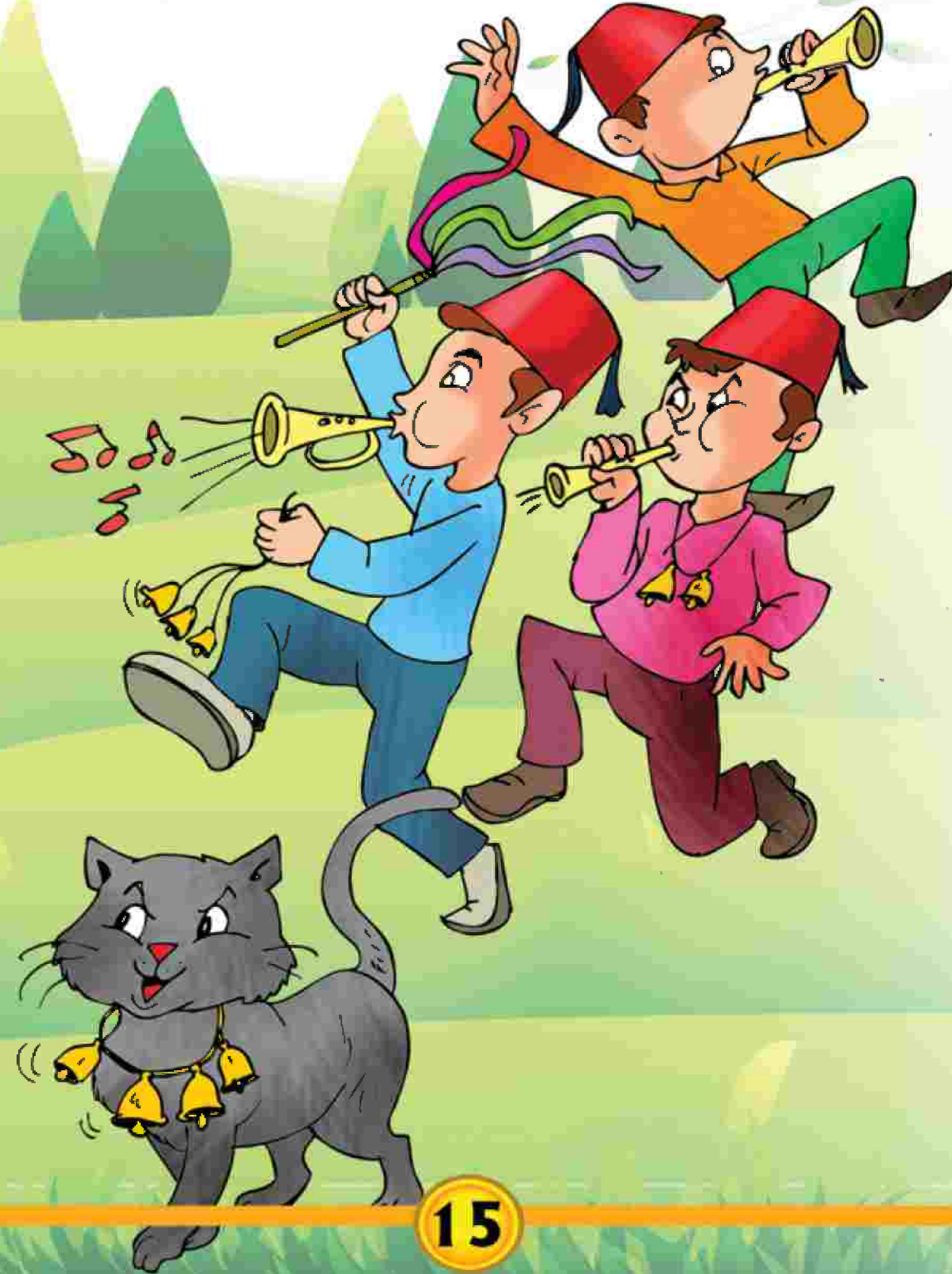
سار الصغار في موكب صوب الغابة التي تحيط بموقع جيش الاحتلال. تجتمع الناس حول الموكب المتقدم صوب الغابة، وكان أكثر ما لفت الأنظار تلك الهرة السوداء المزينة والتي كانت تسير في مقدمة الموكب مطمئنة بعشرات الأجراس الصغيرة التي علقت في كل مكان من جسمها.

عندما عاد الصغار من جولاتهم، لاحظ الناس أن الهرة ليست معهم، كما لاحظ الناس أيضاً أن الصغار عادوا صامتين ليجلسوا في سياراتهم، وليطلبوا من الآخرين أن يعود كل منهم إلى سيارته، لأن شيئاً ما يمكن أن يحدث. صدق كثير من الناس زعم الأولاد، وعادوا إلى سياراتهم وانتظروا...

وفجأة بدأ هدوء الليل يُخدش، بدأت أصوات تتصاعد من الغابة، قال أناس:

- تكاد هذه الأصوات تكون أصوات رصاص تتصاعد من الغابة المحيطة بموقع الجيش المحتل.

تتابعت الأصوات، فانبعثت الأضواء الكاشفة، سلطت الأضواء على الغابة، وراحت تجوبها شبراً شبراً. لم يبدُ شيء، فانهمر الرصاص يمشط أوراق الغابة وأغصانها. جن جنون جنود الاحتلال عندما عادت الأصوات تتصاعد من الغابة، فقفزوا من مواقعهم يزحفون صوبها، ومحيطون بها، ويتسربون إليها، والرصاص يسبقهم إلى داخلها...



طال أمدُ المعركة، جاء مددٌ، وتدافع الجنودُ زحفاً صوب قلب الغابة، وظل الرصاصُ يُجنُّ جنونه، بين لحظة وأخرى، مدةً طويلة. وفجأة، صمت كل شيء ثم خفت الأضواء، ما عدا المصوِّبة صوب باحة الموقع، وعاد جنود الاحتلال إلى مواقعهم وألياتهم، وهم "يدمدون" أصواتاً غاضبةً حانقة، ويدعون الناس كلهم إلى التجمُّع في باحة الموقع. تجمُّع الناس سريعاً، وراحوا ينظرون إلى جنود الاحتلال العائدين مُتعبين، ولمحوا قائد الجند يحمل الهرة السوداء، وقد نُزعت عنها زينتها، وتساقطت أجراسها ووقف القائد وراء دشمة، وصاح "لمن هذه الهرة؟" لم يجب أحدٌ، فعاد إلى الصياح:
- كلاب... تجيبون أو أقتلكم كلكم...

لم يدعه الصغارُ يكمل، وإنما تقدَّموا نحوه، وقالوا "هايتها، هذه الهرة هرتنا."
كشَّر الضابطُ عن أنيابه، وصرخ "أنتم؟ وماذا كانت تفعل هرتكم بأجراسها في الغابة؟" قهقهة الصغارُ، وابتسم الرجال والنساء، وقال الصبيُّ الأسمر الطويل:
- كانت تُعيد... كانت تلعب... فصرخ الضابط: تعيدون؟... تلعبون؟ ومن سمح لكم؟
فأجاب الصغار: هل نحن بحاجة إلى إذنٍ من أحد كي نعيد ونلعب في أرضنا؟
- وأنت من "أذنك" أن تمنعنا من المرور إلى قريتنا وإمضاء ليلة العيد هناك؟
فعاد الضابط إلى الصُّراخ: أنتم لن تمروا بعد اليوم إلى قريتكم...
فصاح الصغار: في المرَّة القادمة لن ننتظر الأذن منك، لأنك لن تكون هنا...
كوَّر الضابط قبضته وهزَّها، فقفزت الهرة صوب الصغار الذين هزجوا مرددين:
مشاكل يا مشاكل . أهلاً أهلاً بالمشاكل .
مشاكل يا مشاكل . أنا أنا حلَّال المشاكل .



نسَمَات

سلسلة قصص قصيرة للأحبة
الفتيات والفتيان
(المرحلة المتوسطة)
ويمكن للكبار أن يقرأوها ...
ولكل متعته الجمالية والمعرفية
التي ترف كالنسَمَات ...